الموضوع هو موضوع محدد يتعلق بحياة فردية وبشخص معين فالمجال ليس مفتوحا للأشخاص الآخرين إلا بقدر تعلقهم بصاحب السيرة، وعلى الرغم من الارتباط بين السيرة الذاتية وكتابة التاريخ بوصفهما يتناولان موضوعا توقف جانب الاجتهاد فيه ولا يمكن تغييره، إلا أن السيرة الذاتية تبرز الذات الإنسانية في حين تقف الكتابة التاريخية المحضة في جانب مغاير يعتمد على طبيعة الحدث ودور الفرد في تشكيله، أما من ناحية التطابق بين المؤلف والسارد فإن ما يميز النص السير ذاتي كونه نصا يتحدث عن تجربة ذاتية حقيقية يقوم باستعادتها كاتب السيرة، والاختلاف بين المؤلف والسارد لا يدخل ضمن مجال اهتمامنا لأن مثل هذا الاختلاف نجده واضحا في السيرة الغيرية، تلك السيرة التي يكتبها شخص عن شخص آخر، والذي يعتمد فيها على الوثائق المتوافرة بين يديه أو عن علاقة شخصية تربطه بصاحب السيرة الذاتية، وهنا لا تلتزم السيرة الغيرية بالحكي الاستعادي وإنما تعتمد على إعادة تشكيل السيرة الذاتية مما هو متوافر بين يدي الكاتب مما يجعلها تشتغل في مجال بعيد عن المجال الذي نحن بصدد دراسته ألا وهو أدب السيرة الذاتية.

نسعى في هذا البحث إلى الكشف عن طبيعة المكونات الخطابية لأدب السيرة الذاتية من خلال الوقوف عند بعض المكونات الخطابية وطبيعة اشتغالها بما يؤهل البحث للوصول إلى نتائج تصب في خدمة البحث العلمي.

يحدد الدكتور أبو شامة المغربي في بحثه: (المكونات الخطابية الكبرى لأدب السيرة الذاتية الإسلامية الحديثة)[1] عددا من المكونات الخطابية التي تؤسس للسيرة الذاتية ويعدها أجناسا أدبية صغرى تصب في صياغة جنس أدبي مستقل بذاته وهو جنس السيرة الذاتية، والمكونات هي:

1- أدب الترجمة الذاتية: وهو فن تاريخ الحياة الموجز، الذي يهدف به الكاتب إلى تقديم نفسه والتعريف بشخصه في صفحات قليلة.

2- أدب المذكرات: هو ما يكتبه عادة شخص قام بدور بارز في مجرى الأحداث،

(1) المكونات الخطابية لأدب السيرة الذاتية
3&page=2375www.merbad.net/vb/showthread.php?t=

سياسية كانت أم اجتماعية، ويهتم فيه أساسا بالأحداث التاريخية التي شارك فيها من بعيد أو قريب، وبالأحوال المحيطة به أكثر ما يحفل بوقائع حياته الخاصة، ذلك إن المذكرات تحتفل في المقام الأول بالشخصيات والأحداث وكل ما يجري خارج وحول الذات الكاتبة.

3- أدب الذكريات: هو فن تعبيري يحتفل بالمسترجعات من المشاهد والأحداث والمواقف واللحظات الأكثر إثارة ودلالة في حياة الإنسان، والأكثر رسوخا في ذاكرته، وكتابة الذكريات أوثق صلة بأدب السيرة الذاتية، إذ تتخذ الذكرى محورا ومدارا، وقد لا يعتمد فيها الكاتب الترتيب الزمني، بحيث يكتفي بالتذكر والاسترجاع التلقائي لأهم ما رسخ في ذاكرته وخلف في نفسه أثرا متميزا في الماضي، لكن عندما يتعلق الأمر بصياغة السيرة الذاتية فإن الذكريات يجب أن تستجيب لشرط الترتيب الزمني.

4- أدب الاعتراف: هو ضرب من الكتابة الأدبية، يغشى من خلاله المؤلف أسرارا شخصية جديرة بالذكر، ومفيدة بالنسبة إلى الآخرين في إضاءة جملة من الخبرات: من ميولات وأهواء وعثرات ونزوات ومشاعر وأخطاء، وآثام وأفكار وآراء وغيرها مما له سمة الأسرار والمكتومات الشخصية.

5- أدب اليوميات: ضرب آخر من الكتابة الأدبية، وأحد المكونات الخطابية لأدب السيرة الذاتية، بحيث يتم من خلاله رصد الأحداث اليومية أو وقائع أيام دون أخرى، حسب أهميتها التاريخية، وباعتبار ما تمثله في حياة الكاتب وما حفلت به من مميزات، وهي أيام كثيرا ما يجتمع فيها الذاتي والموضوعي من العناصر، إنها تسجيل مباشر للتجارب لا يغيره أي تأمل لاحق. كما أنه يمتاز بالمباشرة الآنية، والتمكن من رصد ومتابعة الأحداث والمستجدات اليومية، مما يسمح للكاتب بتدوين ما مر به في يومه من وقائع هامة ومثيرة بدقة، باعتبار انه يتخذ من مجريات الزمن الحاضر موضوعا لكتابته، وفي هذه الحال لا يسترجع ماضيا، ولا يسجل مستقبلا، لكن (اليوميات) تظل الأقل اعتمادا على تأمل الأحداث والأقل ارتباطا وتماسكا.

6- أدب الرسائل: فن تعبيري غالبا ما يتواصل كتابة من خلال الأدباء والعلماء

والمفكرين وغيرهم، وهو مكون خطابي في أدب السيرة الذاتية، ويتخذ في معظم الأحيان صفة الوثيقة داخل هذا الأدب، والتي قد يقصد بها صاحب السيرة الذاتية استعادة الحقيقة التاريخية المشوبة بالزيف والتحريف، ولتكون شاهدا على صدق حديثه من جهة، أو ليتخذها سبيلا إلى بعث مشاعر وأحاسيس وانفعالات خبت جذوتها بفعل طي الزمان لها، إذ يحاول بإحيائها استرجاع اللحظات المثيرة والمميزة التي كانت في تاريخ مضى فضاء لجملة من المواقف، والتجارب وغيرها من جهة ثانية.

7- المعلومات العامة: لم يذكر الدكتور أبو شامة المغربي هذا المكون الخطابي في سياق ذكره للمكونات الخطابية سالفة الذكر، وقد ارتأى الباحث إضافته لما يشكله من دور بارز وحيوي في أدب السيرة الذاتية، والمعلومات العامة هي مكون خطابي يعمد إليه كاتب السيرة الذاتية إلى تسجيل الأحداث غير المتعلقة به بصورة مباشرة وإنما يذكرها من أجل تقديم صورة عن ثقافته العامة، كما أنه يمثل الدخول في إطار اقتباس نصوص تاريخية وجغرافية عن مناطق يختارها الكاتب بعناية، أو الحديث عن تجارب سياسية وأنظمة حكم مكتفيا بنقلها من مصادرها دون التعليق عليها إلا نادرا.

إن دور المكونات الخطابية في التأسيس لسيرة ذاتية دور مهم يصب في صلب العملية الإبداعية، ولا يمكن المقارنة بين مكون خطابي وبين الجنس الأدبي الذي ينتمي له ذلك المكون، لأن مثل هذه المقارنة لا توصلنا إلى طبيعة عمل المكونات من جهة ودورها في تكوين السيرة الذاتية من جهة أخرى، كما أنه لا يشترط في السيرة الذاتية اشتمالها على المكونات الخطابية بصورة مجتمعة - وإن كان وجود بعض المكونات ضروري ولا توجد سيرة ذاتية بدونه ألا وهي الترجمة الذاتية وأدب المعلومات العامة وأدب المذكرات - لأن غياب أحد هذه المكونات من السيرة الذاتية يغيب هوية الجنس الأدبي، فلا توجد سيرة ذاتية تخلو من الترجمة الذاتية - على حد علم الباحث - كما أن أدب المذكرات لا يغيب مطلقا هو الآخر لأن وجوده ضروري بوصف السيرة الذاتية نثر استعادي وهو ما يجعل من وجود أدب المذكرات بنية لا يمكن غيابها، والأمر ينطبق على المعلومات العامة التي عادة

ما تكون غير متعلقة بكاتب السيرة الذاتية بصورة مباشرة بوصفها معلومات عن المدينة والمكان والوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وأدب المعلومات بما يمثله من حلقة وصل وساحة لتبيان معلومات كاتب السيرة الذاتية العامة فإنه يشغل صفحات كثيرة لا يمكن فصلها عن باقي المكونات الخطابية لذا نجد التداخل واضحا بين مكون المعلومات العامة والمكونات الخطابية الأخرى.

إن هذه المكونات الخطابية لا نجدها مجتمعة في سيرة ذاتية واحدة[1] - إلا ما ندر - وذلك لمبول الكاتب إلى مكون دون غيره، فضلا عن طغيان وهيمنة مكون خطابي على آخر، ومن خلال التعريف الذي قدمه الدكتور أبو شامة للمكونات الخطابية يتضح أن هناك اختلافا بينا بينها يتمثل في طبيعة المكون ذاته، فأدب الاعتراف على سبيل المثال يجد قبولا لدى المتلقي بوصفه أدبا يتطرق إلى الموضوعات الحساسة والمسكوت عنها، لذا نجده قليل الشيوع في المجتمعات الشرقية المحافظة، في حين نجد مثل هذا النوع من الأدب له قبول ومساحة انتشار واسعة في المجتمعات التي تميل إلى التحرر شأن المجتمعات الغربية أو المجتمعات المتأثرة بالحضارة الغربية، وإذا أخذنا مكونا آخر وحاولنا أن نحلل طبيعته على حدة أولا ومن ثم اللجوء إلى دوره ضمن المكونات الأخرى لخرجنا بنتيجة مفادها أن لكل مكون مجال اشتغال يختلف عن مجال اشتغال المكون الآخر، فطبيعة حياة كتاب السيرة الذاتية لا يمكن أن تكون على وتيرة واحدة، كما أن (أي تحليل للنص السير ذاتي لا بد من أن ينطلق من البحث في نظام اشتغال النص، وليس من الفروقات الشكلية والمضمونية له)[2]، لذا نجد ان البعض قد لا يجد في سيرة حياته شيئا مهما وعلى الرغم من ذلك يشرع في كتابتها، وهو ما ذكره د. إحسان عباس صراحة حين قال: (فاتحني عدد غير قليل من الأصدقاء في أن

---

(1) لا يمكن أن نعد المكونات الخطابية التي ذكرها الدكتور أبو شامة المغربي نهائية، لذا فقد قام الباحث بإضافة مكون المعلومات العامة الذي لا يمكن إدراجه تحت أي مكون آخر وإنما له خصوصية تميزه وآلية اشتغال مغايرة.

(2) حسن بحراوي، انساق الميثاق الاطوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة آفاق، المغرب، العدد 3 - 4، لسنة 1984، ص39.

أكتب سيرتي الذاتية: فأخذ اقتراحهم يمثل هاجسا يدور في نفسي ويستثير ذاكرتي، ولذا توجهت إلى أخي بكر عباس أسأله رأيه في الأمر، فكان جوابه المباشر أن قال لا أنصحك بذلك لأن حياتك تخلو أو تكاد من أحداث بارزة، تثير اهتمام القارئ وتطلعاته.

كان ما قاله أخي وصديقي بكر صحيحا، فأنا أعرف أنني لم أشارك في أحداث سياسية، ولم أتول مناصب إدارية، ولم أكن عضوا في حزب، ولم أكن مسؤولا عن مشروعات اقتصادية، إلى آخر ما هنالك من نشاطات تعرض الفرد للمسؤوليات الاجتماعية والوظيفية.

وعلى الرغم من ذلك كله وجدتني أميل إلى كتابة سيرتي، ومنهجي فيها التزام الصدق فيما أسرده، لا لأن ما أكتبه تاريخ مهم؛ بل لأنه يمثل تجربة إنسان حاول في كل خطواته أن يخلص للعلم بصدق ومحبة)[1].

إن مثل هذا التوصيف الذي يقدمه د. إحسان عباس عن سبب كتابته لسيرته الذاتية والاعتراض الذي قدم له وتجاوزه الرضوخ له رغم قناعته به، وشروعه في كتابة سيرة ذاتية تعبر عن تجربة إنسان يجعلنا منذ البدء على وعي تام بطبيعة المكونات الخطابية التي سوف يلجأ إليها في كتابة السيرة، فنجده يبتعد عن أدب الاعتراف الذي هو ضرب من الكتابة الأدبية، يفشي من خلاله المؤلف أسرارا شخصية جديرة بالذكر، ومفيدة بالنسبة إلى الآخرين في إضاءة جملة من الخبرات، فلا توجد اعترافات - إلا ما ندر - يدلي بها إحسان عباس لقارئه، كما أنه ابتعد عن أدب الرسائل الذي يمثل فنا تعبيريا غالبا ما يتواصل كتابة من خلال الأدباء والعلماء والمفكرين وغيرهم والذي يتخذ في معظم الأحيان صفة الوثيقة، فلا توجد في سيرة إحسان عباس الذاتية رسائل متبادلة بينه وبين غيره من الأدباء والمفكرين، لذا نجد أن المكونات الخطابية التي رفدت سيرة إحسان عباس الذاتية تمثلت بأدب الترجمة الذاتية وأدب الذكريات وأدب اليوميات) ويمكن إضافة أدب المذكرات إلى حد ما بسبب ان أدب المذكرات هو ما يكتبه عادة شخص قام بدور بارز في

(1) غربة الراعي، دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط1. 1996. ص 5.

مجرى الأحداث سياسية كانت أم اجتماعية، وإضافة أدب المذكرات بوصفه مكونا خطابيا لسيرة إحسان عباس الذاتية يجب أن تكون إضافة حذرة لأن الكاتب نفسه لا يجد له دور مهم في الأحداث، إلا أن المتتبع لنتاج إحسان عباس في مجال التحقيق الذي عني فيه بالنصوص التراثية وكتابة النقد الأدبي بل وكتابته لسيرة رائد الشعر الحر بدر شاكر السياب في كتابه (بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره) تفصح عن الدور الثقافي الذي لعبه إحسان عباس إلا أن جانب الحذر الذي نلتزمه يرتبط بأدب المذكرات كمكون خطابي يعتمد في تشكيله على الدور والحدث التاريخي أكثر من عنايته بالمنجز، ومن هنا يكون دور المكون الخطابي هو رفد النسيج المتكامل الذي يشكل طبيعة الجنس الأدبي والذي يتمثل بـ(السيرة الذاتية).

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.